السياحة اللبنانية تستعيد حياتها المعتادة

بقلم: نك ريدمين

في السابع من أيلول/سبتمبر 2006، كان هدير المحركات النفاثة يسمع بعيدا ومنخفضا في وسط بيروت. لكن مع قرار الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار والرفع الجزئي للحصار الاسرائيلي، كان صوت الرحلة الأولى بعد الحرب القادمة من أوروبا إشارة طيبة تعلن أنه بالرغم من كل شيء فإن بيروت تستعيد حياتها الطبيعية. وبعد فترة موفّرة من التفكير عدت أنا أيضا إلى إعداد تقرير عن ما بقي مما نسمعه كثيرا حول نهضة السياحة اللبنانية.

أخذ المرور يتزايد حتى أنه لم يعد يمكن تصوّر أن ينمو أكثر من ذلك، وبخفة متميزة لنموذج من مهارة السواق اللبنانيين، دار سائق سيارة الأجرة بنحو 180 درجة عبر الشارع ليتحول إلى شارع الكورنيش، عند معلم الحمام الصخري في الروشة. حجزت في الفندق السويسري، موفينبيك، فاكتشفت أن معظم الصحفيين الأجانب قد تركوا الفندق، ومع الاحترام لمهنتهم، كان هذا خبرا جيدا فعلا.

على الإفطار، قدمت ميرا حواء مديرة التسويق بالفندق الصريحة في كلامها عرضا لفترة الغضب خلال فترة 34 يوما السابقة. "نعم، هناك أضرار ولكن الفرنسيين أقاموا بالفعل جسورا مؤقتة، وفي أماكن أخرى هناك دائما طريق آخر- الأماكن السياحية لم تتضرر. الأهم من ذلك كله، نحن ممتنون حقا لكون منظمي الرحلات الأجنبية لم يسحبوا لبنان من نشراتهم. وكل ما نحتاجه هو الهدوء وإعادة الثقة وأن تعدّل الحكومة من نصائحها المتعلقة بالسفر".

وتسائلت عما إذا كانت مواقف وزارة خارجية بريطانيا قد أثرت على أسلوب الترحيب بالمسافرين البريطانيين. "لا، فالزوار موضع ترحيب أكثر من أي وقت مضى. الناس سعداء برؤية الأجانب. اللبنانيون فخورون ببلدهم وهم يحسون بالسعادة لكون الناس يأتون لزيارته، خصوصا الآن".

ماذا عن ليالي بيروت المشهورة؟ أخبرتني ميرا إنها "زاهرة حقا". وهذا ما علي أن أختبره بنفسي. ذلك المساء، برفقة اثنين من الزملاء الاسكتلنديين، تسللت عبر حشود المارة في الكورنيش متوجها نحو وسط المدينة. هنا، حقيقة ما يبقى هو حجارة الواجهات الأنيقة العسلية اللون: واجهات المحلات المخصصة لذوي الدخول المرتفعة والمطاعم والمقاهي. حملة إعادة الإعمار الكبيرة لفترة ما بعد الحرب التي تقوم بها شركة سوليدير وسط المدينة لا تزال تتعارض مع مشاهد الخراب التي تصورها أشرطة الأخبار التي تركّز حصرا على التدمير الأخير. حول شوارع بلاس دي ايتول الواسعة يزدحم الناس الحلوين بشكل خطير. وكان منظر اللامبوغيني الصفراء الواقفة في رأس شارع المعرض، دلالة على الثراء في هذا الحي. واقترح علي ضعف محفظتي البحث عن محيط أكثر تواضعا لقضاء ما تبقى من المساء.

في حي الأشرفية المجاور، كانت مقاهي شارع مونوت تفيض بزبائنها إلى الشارع. ومقهى باسيفيكو ليس الوحيد الذي أصبح ضحية نجاحه، فليس بالمستطاع دخوله لأنه ممتلئ بما فيه الكفاية. لكن شرفته الخشبية مصممة لمنظر جيد لحشود الليل. وكان المشهد ذا طبيعة لطيفة بدون استثناء، وهو أمر من الصعب أن تجده في وسط المدن البريطانية في أي يوم وأي ساعة، ناهيك في ليل عطلة نهاية الأسبوع.

التقيت بعد ذلك باللبناني داني نادر مؤسس "سيفا" وهي منظمة غير هادفة للربح تقوم بتدريب الشباب ليصبحوا مرشدين سياحيين، وصاحب "وكالة ت. ل. ب. للرحلات".

وصف نادر، خلال فترات انقطاع التيار، كيف أنه بمساعدة الدعم الحكومي تقام دورات سيفا لتدريب الأدلاء التي كان من المقرر أن يبدأ تنفيذها من خلال جامعة القديس يوسف ببيروت. وفي وقت سابق من السنة كان يتوقع بثقة أن من مجموع خريجي سيفا الذين يتراوح عددهم من 15 إلى 20 ، أن نصفهم سيجدون عملا في شركته.

ولكن في أثر "التحدي" الأخير لم يستطع سوى عرض أكثر من عمل بسيط لواحد أو اثنين من المرشدين المؤهلين حديثا. ولأن نادر واقعي وليس متشائما فقد توقع مرور ثلاث سنوات على الأقل قبل استعادة ثقة السياح وعودتهم وللتجارة كي تعود إلى مستوى أوائل عام 2006. وجولة سيفا التضامنية الأخيرة، التي كانت محاولة جريئة لبناء الثقة من خلال سياحة التعريف المدعومة، جاءت بنتائج مختلطة. وعند نادر آمال كبيرة بأن مسيرة السلام إلى قمة القرنة ستكون ذات مردود أفضل. وقد غادرت، متمنيا له وزملائه ومساعيهم كل خير.

واحد من معلمي سيفا ودليل الوجهات "ت. ل. ب"، زياد أبو جودة، أعادني بسيارته إلى الفندق. سألته عن ولاءاته السياسية والدينية، قال ببساطة ووضوح: "أنا لبناني، هذا ما أقوله دائما". جميع اللبنانيين الذين يعتمدون على دولارات السياح، مثل زياد، يرغبون برحيل وكالات المعونة وسائر المنظمات غير الحكومية وبسرعة. وأفضل إعمار ذي جدوى يستطيع المجتمع الدولي أن يبنيه هو أساس متين للسلام، فإذا بنوه، فسنعود. ■